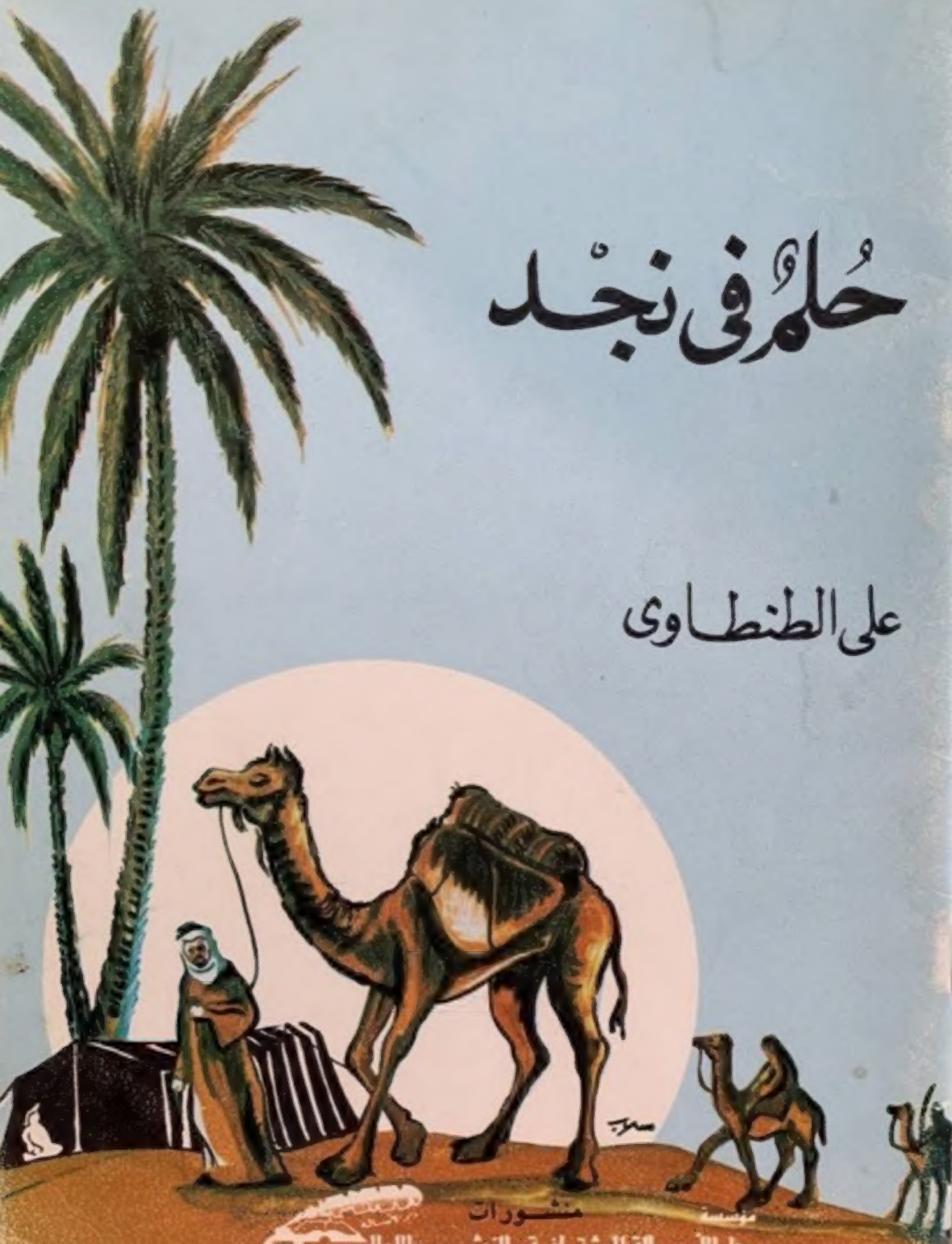


حُلمٌ في نجد

على الطنطاوى



منشورات
دار الأحياء للثقافة والنشر والإعلام

DAR AL AYYAL FOR CULTURE PUBLISHING AND INFORMATION

الرياض ص.ب ٤٢٢٤٨

حُلُمٌ فِي نَجْدٍ

حُلُمٌ فِي نَجْدٍ

عَلَى الطَّنْطَاوِي

منشورات



مؤسسة

دار الأبالسة للثقافة والنشر والإعلام والتنمية
والفنون والآداب

DAR AL ABSALA FOR CULTURE PUBLISHING AND INFORMATION

الرياض ص ٠ ب ٤٢٢٤٨

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الاولى

١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م



مؤسسة دار الأصاله للثقافه والنشر والاعلام
س.ت ٣٩٨٦٤ ص.ب ٤٣٤٨ الرياض المملكة العربية السعودية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إشارة

نجد هذه الرقعة الواسعة التي تتوسط شبه الجزيرة
العربية تغني بها الشعراء العرب الأوائل والمحدثون وأكثروا.
حتى لا نجد شاعراً لم يذكرها في شعره. بل لقد ذهب الأمر
ببعضهم إلى جعل نجد أمّاً ييئسها آلامه وشجونته. الأمر
الذي جعل شعرهم مليئاً بالحنين إلى نجد. حتى إن
(صباها) أصبح ملازماً لذكرها. يقول الشاعر (ابن
الدمينة) في داليتة. والتي هي من أعذب وأمتع ما قيل في
نجد.

الا يا صبا نجد متى هجت من نجد
لقد زادني مسراك وجداً على وجد

ويقول آخر :

سقى الله نجداً والسلام على نجد
ويا حبذا نجد على القرب والبعد

فالشعر في نجد يذكي الأحاسيس ويطرب النفس
بأعذب الألحان. وهذا دليل واضح على التصاق الإنسان
بالأرض التي يقطنها وتكون أول ما تكتحل بها عيناه.

وقد سعدت (دار الأصالة) بموافقة أديبنا الكبير
وأستاذنا الفاضل (على الطنطاوي) حينما كتبت له الدار

مستأذنة طباعة هذه الإضمامة الأدبية الرائعة (حلم في نجد) فتكرم بالإذن ولم يقتصر على ذلك وإنما شفع الإذن بالترحاب البالغ. على أنه — وبتواضع جم — ألح على أن هذه لا تشكل شيئاً ذا بال، ولا تستحق أفرادها في كتيب.

إلا أن (دار الأصالة) إيماناً منها بما لنجد من مكانة خلدها الشعراء القدامى والمحدثون وما للشيخ الفاضل من مكانة في النفوس لدى العامة والخاصة. وبما يمتاز به أسلوبه الرشيق وبيانه القوي من جمال فني إضافة إلى بلاغته وعمق ثقافته وتشعب إطلاعه.

إيماناً بكل ذلك. تقدم (دار الأصالة) هذه الإضمامة الممتعة. والتي كتبها أديب العربية (علي الطنطاوي) قبل سنوات. ونترك القارئ الكريم الذي عودناه على كل جيد مع أسلوب الطنطاوي في تناول الموضوعات وبيانه الرائع في الاسترسال والذي لا يستطيع القارئ أن يغادره حتى يأتي عليه من فرط الأسر البياني الذي يهيمن عليه حين يقرأ مقالات ودراسات وأبحاث الشيخ (الطنطاوي).

مؤسسة دار الأصالة

الرياض

مقدمة المؤلف

يا قوت الحموى يا ألف كتاب (بسم الليل) هي طوف في
الهدى - وراى آقالم اوصى - ثم يقول: ان ماله الجاهل تلاته
غولمه موشى - وشعب توات - ونهر اهدية - وهي التي نعى اليوم
بر (ابو الصيب) هذا البصر
وقد فتح المليون كلام - وسلكه او هازما شعرا الوط -
واوا يهدرا اهل مكة - فذل قالوا في ذلك كله ما قال الشعراء المولون
في تلاته نجد - واودى الجواز ؟
هل كانت تلك القفا - اهل به بساته ان - وجبات احسن - النعم
كانوا اشعر - وكانوا يحسون بالجمال اكثر - وكانوا على البصر عما يحسون
اقد - ؟
ولوان اربا تتبع ما قلخ تحده - لجار مع محله كبر - وانما ما
مدت (هذا - وما اردته - وما اضر عليه - وانما كنت ارون ما عمر
ي به اتعا - نجد - فادعت ما اجمع لوى في مدة قشرة هذه
المقالة

انما قاله ، ليست لكنا قوضع المدمات ، والله اعرف
صاحب دار اوصال راى نورا وهدى تحته منه ، ولى الجح
والهوى ، وكلفى ان اكتب كل - ٥ - به سيرا .
وسطى ونبه ضيق قدم امه ، واربع فاضل اقدمه
صد افى استاذ محمد بعد العاوى ، وهو المان ان اراد طلبا
يوستاز بعد ؟

فله ولعاشتر شادی - ولعقار ازکی سادی
 مد الملة : $\frac{6}{4}$ على الملة

غدوت أكتب مقالاتي في جلسة واحدة، لأصبر على
الابتداء بتسويدها، ولا على الانتهاء إلى تحريرها. ولكن
هذه المقالة شغلتني ليالي وأياماً، أجمع لها الشواهد،
وأتألف الشوارد، ففكرت فيمن أهديها إليه، فلم أجد
أحق بها منك. لأنك ابن نجد، أبوك الشيخ عبد الله بن
حسن قاضي قضائه، تشرفت ببلقائه والاقتراس من معينه
منذ أكثر من ثلث قرن، وجدك الشيخ محمد بن عبد
الوهاب معجزة نجد، ومجدد الإسلام في هذا العصر.

وما كنت يوماً ممن يتزلف إلى وزير، أو يتصاغر أمام
كبير، ولكن كنت ممن يقدر الفضل، ويكبر النبل.

فأنا أهديها إليك لفضلك ونبلك لا لأنك وزير
المعارف.

ركبت القطار من خمس سنوات، من الرياض إلى
الظهران، وكان يطوي بنا الأرض، والذهن يطوي بي

(١) كتبت هذه الإضافة حينما كان الشيخ حسن عبد الله آل الشيخ وزيراً للمعارف

العصور، أنظر من وراء البلّور وأنا في مثل نشوة المخمور
أقول: هذه نجد؟ فأين صباها وأين صباياها؟

أين الصبا كان يهتّ على قلوب الشعراء، فيذيبها من
الحنين شعراً يترع البید والحضر؟ أين الصبايا اللواتي
خلدن في الأدب قصائد لا تنفى وإن في العمر؟

كيف أوحى هذه التلال المقفرة، وهذه الرمال
المتسعة بما لم توح بمثله جنات الشام، وأودية لبنان، حيث
الظل والماء، والأيكة الغناء. والسواقي تتحدر من القمم
المعتمة بالثلج، تتكسر تحت عين الشمس، كأن في كل
ساقية مئة ألف حجر من غالي الالماس^(١)، ثم تخطر على
السفوح الكاسية بأثواب الزهر، العابقة برياً العطر؟

كيف كسوا تلك الصحاري من أدهم ثوب الخلود،
وقالوا فيها ما لم نقل مثله وعندنا هذي الجنّات.

ألأن القوم كانوا أمة البيان، كانت لهم عيون تتبع
الحسن، وقلوب تهيم بالجمال، وألسنة تصف ما ترى العيون
وتحس القلوب، فما لشعرائنا في هذا الزمان؟!؟

(١) مفرد الالماس ولامة أصلية فهو الالماس لا الماس.

وجعلت أعرض في ذهني ما قيل من الشعر في نجد،
وياما أكثر ما قيل في نجد من الشعر، وسبقت إلى ذاكرتي
أبيات للشاعر الأموي، المتنبي الصغير، (الابوردي) وكنت
قد أولعت بديوانه حيناً، وكتبت عنه في (الرسالة) من
أربع وثلاثين سنة، فشعرت به يتمثل لي، فكأنني أراه
قاعداً أمامي في القطار. ومعه صاحبان له، وكانوا
يتهامون وكأنه يحدثهما عن سوائف أيامه في نجد، ثم رأيت
يبكي ويدعوها أن ييكيا معه أيام نجد، لأنه لم يجد بعد
نجد مثل نجد.

يسألها أيعينان هذا القلب المعمود، على بكاء تلك
العهود، أم ينسيان الود، وينقضان العهد؟

ويدعو عليها إن هما لم يفيا — لا بالموت، بل بما هو
شر من الموت، وهو ألا تبصر عيونها علمي نجد، ولا ترعى
ركائبها حاه:

هلم نبك على نجد وساكنه
فلن نرى بعد نجد عيشة رغدا

ودع هذيماً، فقد طاف السلوبه
وعن قريب نراه يلتوى كمدا

اتخذلان فؤداً شيقاً علقت
به الصبابة إن أتهمتا حسداً

أم تنقضان عهداً كنت أبرمها
إن تنقضاهما فلا لقيتاً رشداً

ولا رأت علمي نجد عيونكما
ولا رعى بالحمى نضواكما أبداً

فرايتها يبكيان معه، ويسعدانه على أحزانه، حتى إذا
هدأ وهدأ رأى شيئاً أثاره، فنظرت فلم أر إلا شجيرات
خضراء شديدة الاخضرار يمر عليها القطار فعرفت انها
الغضى واذ به يقول، يخاطب صاحبيه:

خليتي هذا ربع ليلي بذى الغضى
سقى الله ليلي والغضى وسقاكما

فقد كنتا لي مسعدين على البكا
فما لكما لاتسعدان أخاكما

أظل وحيداً لأرى من أحبه
وهل بالحمى لي من خليل سواكما

ولو غاب عني واحد منكما وهت
قوى الصبر لأوهى الزمان قواكما

فكيف أذود الهمّ عني تجلّدا
إذا غيبتا عن أرض نجد كلاكما

ومر القطار ولاح لنا على البعد جبلان، يلوحان على
حواشي الأفق، تضيّع أعاليهما في ألق الأصيل وإذا بي
أرى شيخاً جليلاً، قد دخل القطار لست أدري من أين
جاء، ورائه نفر تعلوهم مهابة ووقار، وإذا بالشيخ يرنو إلى
الجبليّن، ويكلّمهما، يسألهما ويناديها كأنهما يسمعان النداء
ويدركان السؤال، يقول:

أيا جبلي نجد أبينا سُقيتا
مق زالت الأظعمان، يا جبيلان

أناديكما شوقاً، وأعلم أنه
وان طال رجع القول لاتعميان

وسكت ساعة حتى غابت الشمس وظهر الليل، فعاد
يقول:

أقول وقد مد الظلام رواقه
وألقي على هام الربا بجران

نشدتكما أن تضراني هنية
لعلي أرى النار التي تربيان

ففا صاحبي اليوم أسال ساعة
ولا ترجعا سمعي بغير بيان:

هل الربع بعد الظاعنين كعهده
وهل راجع فيه عليّ زماني

فعلمت أنه سيد شعراء الغزل صاحب الحجازيات،
أمير العشاق الشريف الرضي، ولم أشعر بنفسي إلا وأنا
قائم إليه أحياه وأبته قديم حبي له، وإكباري إياه. واني
كتبت عنه صفحات هي الشعر وإن لم توزن بميزان
الخليل، فأنس بي وجعل يحدثني وقد سكرت من حديثه،
كأن في فيه الخمر، وفي كلامه السحر، ولحظ ذلك مني،
فجعل يهزني، ويناديني فصحت وقلت:

— نعم؟

— قال : أما تحس نسيم الشبح من نجد؟

فنظرت فإذا أنا قد رددت إلى حاضري، فلا أشم إلا

هواء القطار (المكيف)، فسكت. فلوى وجهه غني يقول:

ولقد أقول لصاحب نبهته
فوق الرحالة والمطّي رواق

مع أننا كنا في قطار (الديزل) لافي قطار الابل.

أوما شممت بذى الابارق نفحة
خلصت إلى كبدا الفقى المشتاق

فجنى نسيم الشيخ من نجد له
حرق الحشا وتغلب الآماق

أها على نفحات نجد إنها
رسل الهوى وأدلة الأشواق

ثم أطرق، وجعل يحرك شفّتيه يناجي ذكريات له
بعيدا مداها، فقلت له مباسطاً:
— أين أنتم يامولانا؟ قال:

كأننا بنجد غداة الوداع
نصادي عيوناً من الدمع رمدا

وأيسر مانال منا الغليل
ألا نخس من الماء بردا

وغلبه الحنين، فتركته، فوقف إلى نافذة القطار، ينظر
في سواد الليل، وأطلق نفساً طويلاً، خلت أضلاعه
تقطعت منه، وهمس للريح بشيء، فدنوت فأصغيتُ، فاذا
هو يسأل الريح ان هي لم تحمل إليه حبيبه ليشم عبقه،
ان تحمل نفسه هو إلى حبيبه، واذا هي احدى روائعه
التي يقول فيها:

خذي نَفْسِي يارِيح من جانب الحمى
فلاقني به ليلاً نسيم ربا نجد

فان بذاك الحي إلفا عهدته
وبالرغم مني أن يطول به عهدي

ولولا تداوي القلب من ألم الجوى
بذكر تلاقينا قضيت من الوجد

ولكنه لا يشفى ولو تداوى، لأن المرض يتجدد له كلما
رأى متألماً، أو سمع شاكياً:

واني لمجلوب لِي الشوق كلما
تنفس شاكٍ أو تألم ذو وجدٍ

ورثيت له هذا الداء، الذي يستعصي على الدواء،

وسأله ماسببه؟ فقال، ان سبيه شم الشيخ في نجد:

شممت بنجد شيحة حاجرية
فأمطرتها دمعي وأفرشتها خدي

قلت : لماذا شممتها يامولانا، انما يشم مثلك الورد
والفل لا يشم الشيخ والقيصوم؟.

قال : ذكرت بها ريا الحبيب على النوى.

قلت : وهل وجدت فيها مشابه من ريح الحبيب؟

قال : وهيات ذا يابعد بينها عندي.

وأقبل رجل (ديلمي) يتشبه بالسيد القرشي، يقلده في
حركاته وانشاده و(يابعد بينها) فالشيخ الشريف يصدر
عن طبع، وهذا عن صناعة، وذاك نبيل وهذا يتنبل.

وليس التكحل في العين كالكحل.

ووقف يصرخ كأنه يخطب في أهل نجد:

أيا أهل نجد كيف بالغور بعدكم
بكاء تهامي ييم بمنجد

ملكتم عزيزاً رقه فتعطفوا
على منكر للذل لم يتعود

اغدراً وفيكم ذمة عربية
وبخلاً، ومنكم استفاد ندى اليد

ثم انتقل من الصراخ إلى النحيب، وابتدره القوم
يلومونه، ويأخذون عليه بكاءه ويتهمون به في حبه، فقال:

دعوني فلي ان زمت العيس وقفة
أعلمُ فيها الصخر كيف يلينُ

وخلوا دموعي أو يقال، نعم، بكى
وزفرة صدر أو يقال حزين

فلولا غليل الشوق أو دمة النوى
لما خلقت لي أضلع وجفون

وفي الركب أنى أنجد الركب حاجة
أجل اسمها أن تُقتضى وأصون

وعوذني عراف نجد بذكرها
فأعلمني ان الفرام جنون

وكانت مقطوعة من مطبوع الشعر، سما فيها فوق أفقه،
وعلا فيها عن عادته فأعجبوا بها وطربوا لها ولكن رجلا
غريباً قام كالحائف المذعور، وقال، اسرعوا وبحكم

واهربوا العجل. العجل.

فذعروا — وقالوا: ومم الهرب؟

— قال : من الوباء، ان في هذه الأرض مرضاً،
ينبت فيها كما ينبت العشب هو مرض الحب النابت في
القلب وكم من صحيح خلّي الفؤاد، نزلها مصباحاً معافى
فلم يمس عليه المساء حتى عراه الداء فصارت له ليلى
يهتف باسمها، أو لُبْنَى يهيم بحبها:

النجاء النجاء من أرض نجد
قبل أن يعلق الفؤاد بوجوده

ان ذاك الثرى لينبت شوقاً
في حشا ميّت اللبانات صلد

كم خلّي غدا اليه وأمسى
وهو يهذي بعلوة أو بهند

بحديث اذا سمعناه لم ند
ربخمر فضحننا أم بشهد

أنفت من براقع الخز والقر
خدود قد برقعوها بورد

أما بما بعاليح والمطايا
عرض يبرين بالظعائن تحدى

لا الحمى بعدكم متاح ولا ماء
اللوى إذ هجرتموه بسورد
قالوا : أنت يا (صرد) تدعى الشوق بلا دليل، فقال:

ما تريدون من دلائل شوقي
غير هذا الذي أجن وأبدي

ورأيت اعرابيا (لا يعرف اسمه أحد) يثب إليه، وقد
أغضبه أن يقول شاعر أن في نجد داء يفر منه الأصحاء.
واطلق يدافع عن نجد، فقال:

فيا حبذا نجد وطيب ترابه
إذا هضبتة بالعشي هواضبه

وريح صبا نجد اذا ماتنسمت
ضحى أو سرت جنح الظلام جنائبه

وأشهد لأنساه ماعشت ساعة
وما انجاب ليل عن نهاري عاقبه

ولا زال هذا القلب مسكن لوعة
بذكراه حتى يترك الماء شاربته

ومثلت إلى جنبه بدوية، عرفت معها كيف تسرق
الغيد عيون الغزلان، وكيف تميز بغصن بان، وعذرت
أحمد لما ادعى ان:

حسن الحضارة مجلوب بتطرية
وفي البداوة حسن غير مجلوب

فانعقدت لمرآها الألسنة، وتعلقت بها الأنظار، وقالت
كلما طوبلا ما (حفظوا) منه إلا هذا البيت:

ألام على نجد ومن يك ذا هوى
يهتجه بعد السلو مرابعه

ونسى (التهامي) مُصابه بولده الذي أبقى ذكره في
الأدب بتلك المراثية الرائية التي كانت في الشعر مثل
المعجزات وتعلق بهذه الشاعرة البدوية الحساء فناداها
فداناها وتمایل العنقان، وتقارب الرأسان، واحسست أنها
يتساقيان مابقي في كأسهما من خمر غرام قديم — حتى
ذهبت فلاموه عليها فقال:

اهتَزُّ عند تمنى وصلها طربا
ورب أمنية أحلى من الظفر

صحيح والله إن أحلام الوصال، ألد من الوصال

ولا يعرف هذا إلا من جرّبه:

تجني عليّ واجني من مرآشفها
ففي الجنى والجنّيات انقضى غمري

اهدى لنا طيفها نجداً وساكنها
حتى اقتنصنا ظباء البدو في الحضر

يريد أن الظبية قد صيدت في القطار !

وكان في القوم رجل ساهم واجم، تشغل ذهنه معضلة
لا يعرف حلها فكلما تكلم متكلم أو أنشد منشد. جذبه
من كفه وسأله عنها، عن (الحماثم الورق):

أتظن الورق في الأيك تغني؟

فإذا أخبره أنها تغني، عجب من جهله، وأعلمه أنها
لا تغني (أنها تضر حزنًا مثل حزني) فإذا لم يجبه دعا
عليه:

لاأراك الله نجداً بـمـدهـا
أيها الحادي بها ان لم تجبني

ثم يخلو إلى ذكرياته، فيناجي سواف أيامه في
الحجاز:

يا زمان الخيف هل من عودة
يسمح الدهر بها من بعد ضنّ

أرضينا بثنّيات اللوى
عن (زرود) : يالها صفقة غبن

سل أراك الجذع هل جادت به
مزنة روت ثراها مثل جفني

وأحاديث الغضى، هل علمت
انها تملك قلبي قبل أذني
وأما جته الذكرى، فصاح، والتبط به، فقال القوم قد
جن، (ابن سنان الخفاجي) قد جن فقال — ابن الخياط
— أنا أداويه، لأنني أعرف مرضه، انه مأطار له إلا صبا
نجد، واني مداويه بالتي كانت هي الداء، فن يجزعه
الدواء؟

فقام اثنان من الشعراء. فقال لهما، ان الدواء خطر
واني أخاف أن يشفيه ويمرضكما.
أ قالوا : ما عليك منا فهاته، فقال:

خذا من صبا نجد أماناً لقلبه
فقد كاد ريثاها يطير بلبه

واياكما ذاك النسيم فإنه
إذا هبّ كان الوجد أيسر خطبه

فقالا — وما الوجد؟ ومتى كان الوجد خطبا؟ فرثى
لها من جهلها وقال لها:

خليليّ لو أحببتا لعلمتما
محلّ الهوى من مغرم القلب صبه

قال له رجل: أنا لأعرف ما الحب، فقل لي كيف
أحب؟

قال:

تذكر فذو الذكرى يشوق وذو الهوى
يتوق، ومن يعلق به الحب يصبه

غرام على يأس الهوى ورجائه
وشوق على بعد المزار وقربه

وفي الركب مطوىّ الضلوع على هوى
منى يذّعه داعي الغرام يلبّيه

ولما هب صبا نجد تداوى به الشاعر المصروع، ولكن
صرع الشاعر العاشق — ابن الدمينه — وراح يسائل

الصبا:

الا يا صبا نجد متى هجبت من نجد
لقد زادني مسراك وجداً على وجدٍ

ثم تراجع واستحيى وقال لنفسه يؤنبها:

أأن هتفت ورقاء في رونق الضحى
على عُصن غُضَّ النبات من الرندِ

بكيت كما يبكي الوليد ولم تكن
جليداً وأبديت الذي لم تكن تبدي

فصاحوا به: لماذا التشوق إلى نجد وأنت في نجد، أفما
يشفيك القرب، من لوعة الحب قال:

وقد زعموا أن المحب إذا دنا
يملّ وأن البعد يشفي من الوجد

بكل تداوينا فلم يُشَفَ ما بينا
على ان قرب الدار خير من البعد

على ان قرب الدار ليس بنافع
إذا كان من تهواه ليس بذي ود

وقام الارجاني: يسأل: أ جاء النسيم، أتقولون إنه جاء
ركب النسيم، انى:

إذا ماسرى ركب النسيم اعترضته
لأخبار من أحببته متنسما

فيا ليل نجد ماصباحك عائدا
ولكن من بالغور وهنا تبسما

فصاح به - الطغرائي :-

أجذك ماتنفك بالغور ناشدا
فؤادا بنجد يالقلبك من نجد

تمادى غرام ليس يجري إلى مدى
وفرط سقام لايقم على حد

أقول لأنضاء الغرام عشية
ببصرى وانضاء المطي بنا تحذي

اقيموا صدور العيس واستخبروا الصبا
عن الحي بالجرعاء: مافعلوا بعدي

وماطاب نشر الريح الا وعندها
أخبار من نجد وعن ساكني نجد

فصاحوا به : كلنا عاشق فلم تخص بالذكر نفسك؟

قال:

نظنون حالي في الهوى مثل حالكم
وهيهات. اني في الهوى أمة وحدي

قال ابن الخياط : أما أنا.

فلست على وجدي بأول عاشق
أصابته سهام الحب حبة قلبه

وكان في القطار (اعرابي) لايزال يتلفت إلى
الوراء... يحاول أن يخترق بنظره حجب الليل، فقالوا له:
مالك وما الذي تحاول أن تراه؟ فقال:

أكرر طرفي نحو نجد وانني
اليه وان لم يدرك الطرف انظر

حنينا إلى أرض كأن تراها
إذا أمطرت، عود ومسك وعنبر

قالوا له : ولكنك لا ترجع من النظرة بطائل فقد أسود

الليل وغابت المشاهد. فقال:

وما نظري من نحو نجد بنافع
أجل لاولسكني - على ذاك - أنظر

وطال السفر، ونام في المقاعد أكثر الشعراء، وبقي
واحد قاعدا لا ينام فدنوت فقلت له: مالك لا تهجع كما
هجعوا.

فأخبرني أنه يغار على حبيته، يخاف إذا نام أن يزوره
طيفها، فيراه من معه من أهل نجد:

واشفق من طيف الخيال إذا سرى
مخافة أن يدري به ساكنو نجد

قلت: وما بلغ من حبك أياها؟
فزفر زفرة زلزلت قلبه: واعرض عني كأنه نسيني
وجعل يخاطبها يقول:

ومن فرط اشفاقي عليك يسرني
سلوك عني خوف أن تجدي وجدي

وأرضى بأن تفديك نفسي من الردى
ولكنني أخشى بكاءك من بعدي

قلت له: هذا عظيم، هذا الذي أراده الشعراء، فأخطأه
أكثرهم. فحاموا ولم يلجوا ومشوا ولم يصلوا. قال:
مذاهب شتى للمحبين في الهوى
ولي مذهب فيهم أقول به وحدي

وكان الشريف متيقظا يسمع، فضحك.
— فقلت : وما يضحك مولانا؟
— قال : كل يدعى أن له مذهباً في الهوى وأنه إمام
في شرعة الحب.

وما شرب العشاق الا بقيتي
وما وردوا في الحب الا على وردي

وشغلنا عما كنا فيه (اعرابي) غيره، رأيناه من وراء
الزجاج، يعدو جملاً مهرىاً يحب به في الرمل، يحاول أن
يسابق القطار. فعلمنا أنه ضالّ يسألنا عن الطريق،
وأصغينا فسمعناه ينادي:

أصاح، أأهل من سبيل إلى نجد
وريح الخزامى غضة من ثرى جعد

وهل للبالينا بذى الرمث رجعة
فنشفي جوى الاحزان من لاعج الوجد

فتأملته فعرفته وإذا به (الطرماح) فحيته وقلت:

— أما الطريق إلى نجد فهذه يا صديقي نجد، هذي روايبها وهذا نسيمها، وأما الليالي الماضية فهيات أن تجد السبيل إلى أن تعود إليها، أو تعود بها إليك، لا يرجع الماضي ولا يكشف المستقبل فاقنع بما أنت فيه فإن:

**مامضى فات والمؤمل غيب
ولك الساعة التي أنت فيها**

قال: وكأنه يقول لنفسه: لا والله مافات ولكن دون في كتاب لا يدع صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها. فنسأل الله العفو عما مضى، والستر فيما هو آت.

ولوى عنق بعيره وولى وعيناه تنديان من الدمع.
وسمعت من يذكر ابن نباته، فقلت أي الثلاثة هو؟
الشاعر أم الخطيب. أم المتأخر عنها في زمانه وفي لسانه؟.
قالوا: هذا ابن نباته الكبير. كان شاعراً ولكن قربهُ
من صاحبكم المتنبى كسف نوره كما كسف أنوار جماعة
من الفحول.

فنظرت فإذا رجل عليه هيبة، ينظر بعيداً ثم تبرق
عيناه ويفترّ ثغره عن ابتسامة ويقول: لقد أقبلوا.

قالوا : من هم. قال: وفد الشعراء،

حبذا القادمون من طرف الحـ
ـزن ونجد منهم على ميعاد..

تتلقاهم بنشر الخزامى
نفحات تشفى عليل الفؤاد

وامتلأ المكان بالوافدين. واختلطت الأصوات وسمعت
اسم — المجنون —

وكل الناس مجنون ولكن
على قدر الهوى اختلف الجنون

فكان ابن الملوح سيد المجانين، لأنه كان سيد العشاق
ثم ميزت صوته يقول:

الا ليت شعري من عوارضتني قبا
لطول التنائي هل تغيرتا بعدي

وهل جارتانا بالبتيل إلى الحمى
على عهدنا أم لم تدوما على العهد

وعن غلويات للرياح اذا جرت
بريح الخزامى، هل تهب إلى نجد

وعن اقحوان الرمل ماهو فاعل
اذا هو أمسى ليلة بشرى جعد

فقالوا : مجنون يخلط بين نجد وقبا وما أبعد قبا من نجد.
فزجرهم عنه - التهامي - وقال له:
اسفح بنجد ماء عينك انها
للعامة رية كل أرض دار
وعاد التهامي يقول لنفسه يذكر موقف وداع صاحباته
وضما ورشفا...

لم ادر اذ ودعنني أمقبّل
لحلاوة في الريق أم مشتار
ألبسني سربال ضم ماله
الا رؤوس نهودهسا أزارار

قالوا: نسأل الله السلامة... من هذه الأزارار
وعزى نفسه الطغرائي ان هذا يصف الوداع الذي
مضى وهو يأمل اللقاء الذي يأتي حين تستقر به الإقامة
في نجد.

ياحبذا نجد واعراق الثرى
لندن وأنفاس الربيع رفاق

فهواؤه خصر النسيم وتربيه
حالي الاديم وماؤه رقراق

ولساكنيه ان استقر بنا النوى
تشفى النفوس وتمسك الارماق

واختلطت الأصوات ولم أعد أتبين الا أبياتا من
مقطوعات، كلها في نجد. هذا أبو تمام أستاذ الشعراء
جميعا — لاستثني المتنبي — يقول:

وانجدم من بعد اتهام داركم
فيا دمع أنجدني على ساكني نجد

وهذا شيخ الشعراء الاسلاميين جرير يقول:
أحب ثرى نجد وفي الغور حاجة
فغار الهوى ياعبد قيس وانجدا

وهذا يقول:
سقى الله نجدا والسلام على نجد
وياحبذا نجد على القرب والبعد

وهذا هو الطرماح يهتف بنجد وينسى انه في نجد:

أصاح ألا هل من سبيل إلى نجد
وريح الخزامي غضة من ثرى جعد

وهل للبالينا بذى الرمث مرجع
فيشفي جوى الأحزان من لاعج الوجد

وكان في القوم رجل جاء من بعيد بعيد من وراء
البحر العريض ليقوم في مهرجان نجد فيلقى فيه — كلمة
الاندلس — قال ابن خفاجة:

باليل وجد ينجد
أما لطيفك مسرى

وما لدمعي طليقا
وانجسم الجوى اسرى

وقد طمى بحر ليل
لم يعقب المد جزرا

لايعبر الطرف فيه
غير المجرة جسرا

وتغنى بها بنفحة من ألحان زرياب فأشجى من
حضر... وذكر كل من أيامه ماغبر وقام (مسط ابن
التعاويذى). يبكي ويسأل رفيقه أن يستعيرا عينين
يكيان بها.

ونسى قول عبقرى الغزل اذ يقول (أرأيت عينا للدموع
تعار).

قال: يارفيقي هل لذهاب أيام تقضت حميدة من مرد.

انجداني بوقفه في مغاني
الحى أن جزئا بأعلام نجد

وابكياها بمقلتي واسألاها
من سقاها ماء المدامع بعدي

فقلت له: ويحك، تسرق شعر مولانا الشريف، هذا
البيت شريفى فأعده لصاحبه ولم يرد علي، ولم يرد
صاحباه عليه، وكان القطار قد تباطأ في سفره ودنا من
غايتة، فهما بالنزول فوثب الصمة بن عبد الله القشيري
يمسك بهما ويقول لهما: قفا اتنزلا ن لا تودعان نجداً، ان
نجدا يستحق منكما أكثر من الوداع.

قفا ودعا نجدا ومن حل بالحمى
وقلّ لنجد عندنا أن يودّعا

بنفسي تلك الأرض ما أطيب الربا
وما أحسن المصطاف والمتربعا

وأذكر أيام الحمى ثم انثنى
على كبدي من خشية أن تصدعا

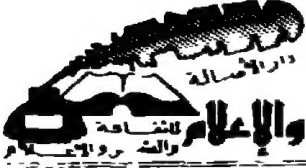
وسمعتنا من بعيد صوتا حزينا يتغنى (أغنية الوداع).

تزوّد من شميم عرار نجد
فما بعد العشيّة من عرار

فقال أحد الحاضرين منزل العامرية بشرقي نجد وما
بلغناها، فصاح المجنون:

لا تقل دارها بشرقي نجد
كل نجد للعامرية دار

منشورات



مؤسسة

دار الأصاله للثقافة والنشر والإعلام

DAR AL ASSALA FOR CULTURE PUBLISHING AND INFORMATION

الرياض ص.ب ٤٢٢٤٨

- ١ - من تاريخنا - الطبعة الثالثة - محمد سعيد العامودي.
- ٢ - الشعر في البلاد السعودية في الغابر والحاضر - الطبعة الأولى - أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري .
- ٣ - الدين ضرورة حياة الإنسان - الطبعة الأولى - عبد الكريم الخطيب .
- ٤ - منهج الإسلام في تربية الجندي المسلم - الطبعة الأولى - دكتور محمد إبراهيم نصر .
- ٥ - الصنوبري . شاعر الطبيعة في العصر العباسي - الطبعة الأولى - صالح عبد الله التويجري.
- ٦ - الحياة الفكرية والأدبية في جنوبي البلاد السعودية ١٢٠٠هـ - ١٣٥١هـ، الطبعة الأولى - عبد الله محمد أبوداهش.

- ٧ - شعراء ينبع وبنو ضمره - الطبعة الأولى -
عبد الكريم محمود الخطيب.
- ٨ - موازنة بين الحكمة في شعر المتنبي والحكمة في شعر
أبي العلاء المعري - الطبعة الأولى - دكتور
زهدي صبري الخواجا.
- ٩ - حلم في نجد - الطبعة الأولى - علي الطنطاوي.

تطلب جميع منشورات الدار
من المكتبات الكبرى بالمملكة

مطابع الفرزدق التجارية
تلفون ٤٧٨٨٥١٠ الملز

